وزارة الثقافة والاعلام
« الارشيف »

اسطورة الشعب المختار

ترجمة
الدكتور اكرم فاضل



وزارة الثقافة والاعلام
٤

مديرية الاعلام العامة
« الارشيف »



اسطورة الشعب المختار

ترجمة

الدكتور اكرم فاضل

اسطورة الشعب المختار

للكاتب الفرنسي جان لوي برنار

عشية حرب عام ١٩٣٩ ، لفقت اسطورة من قبل متثقفين بلطيقيين ، منحدرين من الجرمان المستوطنين في تلك المناطق . وقوام هذه الاسطورة هو العنصر المتفوق الابيض والاشقر . وقد كلفت هذه الاسطورة الانسانية بضع عشرات من ملايين القتلى . وبالاضافة الى ذلــك توجد اسطورة أخرى سخيفة هي أيضا ، وستكلفنا غدا عددا مساويا من القتلى للعدد الذي ذكرناه . هــذه الاسطورة هي اسطورة التوراة في دعوى « الشــعب المختار » ، هذا الشعب الذي يزعم الزاعمون انه وسيط

الى « سليمان » ولكن لنشرع بمعالجة المشكلة من جذورها ..

ماذا كانت فلسطين ؟

اذا نظرنا الى اسمها وجدناه يعني بلاد الفلسطينيين وهم شعب أفراده بحارة يضعون على رؤوسهم تيجانا من الاسل مثل تيجان البحارة النورديين (الشماليين) .. وكانوا على حضارة أرقى من حضارة غزاتهم اليهود ، ولكن أصابهم الانحلال فأصبحوا خطرا روحيا على الشعوب المجاورة ، ذلك لانهم كانوا يمارسون تضحية الانسان فبدا استئصالهم وكأنه مشروع تتطلبه السلامة الدولية .

وهذا الاعتمام بتاج الاسل نجده قبل هذا التاريخ بقرون تحت مرقم نحات ومؤرخ الحضارة المصرية على جدران هيل « مدينتحبو » ، وهذا الهيكل أقيم تخليدا لذكرى انتصار أحد الفراعنة على « شعوب البحر » . ويتسم التاج الشهير بكل الجاذبية النوردية . وهناك خوذ ذات قرون وزوارق قراصنة يمثل جؤجؤها تنينا . ذلك

لان هؤلاء البحارة الغزاة كانوا هم الفايكنج قبل ان تخلق هذه الكلمة •

ومنذ العهود الالفية السحيقة عانى البحر الابيض المتوسط ما عانى من غزواتهم البحرية والبرية • وكانت هذه الغزوات تقع في فترات ، وهي على وجه التقريب كغزوات الطورانيين (الحيثيين والمغول والاتراك) في آسيا الصغرى •

وكان العنصر النوردي قد انحسر ظله بفعل غزو من نوع آخر ، فان الاطلنطيك قد ابتلع مساحات شاسعة فظهر بحر الشمال مع المانش •

وعقب كل طوفان جديد كانت تزحف شعوب صوب الجنوب • وكان الغزو الاخير هو غزو الفايكنج • وقبلهم كان الاتروسكيون والليديون قد سلكوا طرقا مماثلة ، سواء عن طريق البحر الاسود أو عن طريق الاطلنطيك وخلال عهود طويلة كان المجال البلطبقي متصلا بالبحر الاسود • وكانت مستنقعات أوربا الشرقية بحارا قديمة •

وقد أسست طروادة على أيدي النورديين ، ولا ريب أنها نهضت على أكتاف الليديين النازحين عن هذا الطريق . أما اللغة الاتروسكية واللغـة الليدية فقد بـدتا شبيهتين باللغة الايسلاندية ، وهي التي لم تتناولها يد التطور منذ عهد ما قبل التاريخ .

نستخلص مما تقدم أن موجات استعمارية متعاقبة، ولكنها متقطعة ، قد جاءت لتواجه الانقراض في الشرق الاوسط ، وعلى الاخص في فلسطين . وسنقول لمـاذا كانت فلسطين منطقة نهاية الطارئين عليها ! وهذا واقـع عجيب ، اذ يبدو ان الموجات النوردية الاكثر تمـدنا من سواها (يحسن بنا أن نقول « الاقل وحشية ») هـي أقدم من غيرها ، ولنقارن في هـذا المجال الاتروسكيين بالفايكنج . فالاوائل بناة حضارة ، والاواخر أشباه همج . ونلاحظ نفس الملاحظـة بشأن آسـيا الصغرى . فـأن الحثيين كانوا أكثر تمدنا من الاتراك ، والاستنتاج الذي نخلص اليه هو أنه كان هناك تطورتقهقري يمس الجنس النوردي الاوربي الاسيوي ، وهذا مسبب عن التغير فـي

المناخ الذي جلب الرزايا والكوارث .

وقبل الفلسطينيين ، الذين أخرجهم العبريون من ديارهم ، عرفت فلسطين شعبا نورديا آخر عبرنه اليهود بصورة تعسفية ، ألا وهم الدانيون « قبيلة دان » . وقد كانوا الفلول المنهكة القوى من شعب رائد ينحدر منه الايرلنديون . ويعتقد اليونانيون أن الدانيين قد حكموا الشرق الاوسط بأسره ، ومن ضمنه مصر ، وذلك قبل عهد فراعنتنا الكلاسيك .

وفلسطين ، رغم اسمها ، لم تكن أبدا من نصيب شعب متجانس . فقد كانت في جميع الازمنة مزيجا من الاعراق ومن الهجناء والمولدين المختلفين . وكانت زقاقا مقفلا من الطراز الاول تنتهي لديه موجات المهاجرين المتعبين ، من المهجرين بالقسر والاكراه . وبعبارة أخرى قد التجأ اليها أواخر الدانيين وأواخر الفلسطينيين ،وذلك بعد أن طردوا من معموراتهم السالفة بقوة سلاح المجتاحين الجدد .

واذا نظرنا الى خارطة العالم الشرقي القديم بدا لنا

على الفور أن المركب الحاصل من فنيقيا وفلسطين هـو طريق وملتقى بالنسبة للامبراطوريات المجاورة المفتوحة بصورة مفرطة أمام الشارد والوارد • وهذه التشكيلة من المدن شبه المستقلة ومن الاقطاعيات كانت مقسورة على الانضواء مرة تحت راية هذا الجار المتسلط ، واخرى تحت لواء ذلك المجاور الجبار • ومرارا كثيرة تقاسمت بلاد ما بين النهرين ومصر مجموع مناطق النفوذ المحتلة وكأنها كانت منتظرة قيام دول آسـيا الصغرى (دول الحثيين واليونان والبيزنطيين) أو بانتظار أوربا الغربيـة (الرومان والصليبين) لاخلاء السبيل أمام الحـكام الجـدد •

كانت المدن الساحلية تشتري التوهم بالاستقلال من الدول القوية المجاورة ، سواء كانت هذه الدول تحكم فينيقيا أو فلسطين • أما المدن الداخلية فكانت تئن تحت نير ملوك الطوائف الذين تقاسموها بينهم مقاطعات •وكان السلب والنهب متفشين في تلك الربوع • وقد ذكر هذه الحالة الكتاب المقدس •• وكانت فينيقيا تتحكم بسياستها

لكونها دولة غنية •• غنية وعسكرية • وكان اسطولها يسر على كل السواحل • ولكن فلسطين ؟

كان وضعها المؤلم قد خلع عليها في الشرق اسم المنطقة التي تؤوي العبيد الآبقين من اسيادهم •• وبالرغم منا فاننا لا نستطيع بهذا الصدد أن نغفل التذكير بأن المسيح قد عانى التعذيب على أيدي العبيد الرومانيين الهاربين•• وهذه مصادفة مزعجة••ولكن كما يقول الشاعر الانكيزي كيبلنغ : « هذه قصة أخرى » •

وبصورة عامة لعبت فلسطين دور نائب الملك التابع، ومهما أوغلنا في تاريخها القديم لا نجدها أبدا قد عاشت مستقلة • وحتى أيام داود كانت تدور في الفلك المصري العملاق • وكل فرعون كان يعين نائبا له لا يختاره قطعا من العنصر المحلي • والرومان قد حذوا حذو الفراعنة ، فان هيرود مثلا كان من عنصر آخر ، كان ايدوميا ، على حد تعبير العهد الجديد • وهذا العنصر قد قاسى ما قاسى من كره اليهود له •

صحيح أن هيرود كان يدين بدين رعاياه ، ولكنه

في الوقت نفسه كان يتبجح بكونه جزئيا من نسل أسمون، وهو جد المكابيين الثائرين ، الذين تمردوا قديما على الملوك الاشوريين ـ اليونانيين ، وكانوا في ذلك الزمان أسيادهم . ولكن أسمون هذا يحمل اسما مصريا .. وهذا يقودنا الى النظام السياسي الذي اختطه الفراعنة فنسخه عنهم جميع أسياد تلك الفترة ، من بابليين وآشوريين ويونانيين ـ سوريين ، ومن رومان .

كان فرعون يعين في محميته « نائب الملك » ممن ليسوا من أهل المنطقة ، ثم يزوجه امرأة من الطبقة الارستقراطية المصرية . وامتد هذا الاجراء حتى شمل الهاربين والخونة والمرتدين السياسيين وكذلك الرهائن الاميرية (نسبة الى الامراء) وكانوا ينشئونهم على الطريقة المصرية ويزوجونهم على الطريقة نفسها .

وبهذا الخصوص أقول ان أفضل مثل يضرب دون نزاع هو مثل سليمان .. ففي عهده دخلت سطوة مصر العسكرية في دور الاضمحلال ، كما هي حالة سطوة بابل . أما الكوكب الذي توسط كبد السماء فهو

الكوكب الاشوري • فتحولت « نيابات الملك » التابعة من يد الى يد أخرى ، تحولت في فينيقيا كما تحولت في فلسطين •

وأرجح كون سليمان ساميا ، كما كانوا ساميين أولئك الآشوريون المنحدرون من جبال زغروس ، ومن صياصي القفقاس ومعهم شطر من الأكراد •• كل هؤلاء هبطوا الى بلاد مابين الرافدين ليخضعوها بعد أن دب في أوصالها الانحلال •• وقد تمثلوا لغتها وثقافتها • والثقافات المسماة سامية نابعة من الجزيرة العربية القديمة الممعنة في الحضارة • وهؤلاء الآشوريون كانوا يملكون في الاصل مزايا صارمة تكاد تشبه مزايا الاسبرطيين ، وهم أشداء مثل الاكراد الذين هم ليسوا بعرب ، بل هم بالاجمال خليط متفجر متفرقع •

وسليمان من معدنهم ، فهو نصف عربي (وهذه حصته البابلية) ، وهو نصف كردي • وهذا سيفسر لنا الصداقة التي سترب‍ط سليمان بالملوك الفنيقيين الذين سيساعدونه في بناء هيكله الذائع الصيت • وهذا سيفسر

لنا كذلك الحب الذي ستكرسه ملكة سبأ العربية للحكيم سليمان . ولو كان سليمان يهوديا لاستحالت هذه الصداقة ولاستحال هذا الحب على نقيض ذلك الى كراهية وبغضاء ذلك لان اليهود وهم أمشاج مختلطة كانوا منبوذين في العالم العربي . ولكن هذا السامي الكردي مرتبط روحيا بمصر اذا لم يكن هذا الارتباط سياسيا،وقد تزوج بامرأة مصرية من طبقة روحية عليا تدين بديانة الالهة هاتور وتتكتم في ديانتها هذه ، وهاتور الهـة سماوية ذات وجه أسود .. وان آية الشاعر الملك الرائعة هي « نشيد الانشاد » الذي هو عبارة عن غزل ديني كان سائدا آنذاك ، وهو مصري قلبا وقالبا ، « انني سوداء ، ولكنني حسناء » .

وهاتور تجمع بين رمزنا المزدوج المؤلف من العذراء الزرقاء (التي ظهرت في السماء) وبين العذراء السوداء (التي نبعت من طبائع وأخلاق وعادات كوكبها) .

وهذه الفكرة غريبة للغاية على التصـوف اليهودي الذي لا يعطي للمرأة أية قيمة روحية ، بل الامر على العكس ، وان « نشيد الانشاد » هو نبع خالص من الادب

الصوفي المصري - انه ياذات الرأس الاسود » ، هكذا كتب كاتب مصري ، بخصوص الالهة هاتور . وهناك مفسرون سطحيون رأوا في هذه المعشوقة السوداء « جارية من جواري الحريم » من الجنس الاسود ، فيالها من نظرة سخيفة .. فالحقيقة ان القضية هي قضية انشودة غرامية مهداة الى عذراء سماوية ذات قناع اسود . وهذه النظرية الغامضة كانت أساس العديد من الجمعيات السرية وهي كلها صوفية ، وكانت تشمل الشرق بأسره . فهل هذه مصادفة ، اذا كان الملك سليمان يعتبر الاب الروحي لكهان الشرق ؟

كان عالما باسرار الجانب الخفي من الدين . وان الماسونية الحرة نفسها تدعي أنها تدين بدين سليمان وبهيكله المشهور .. والشك هنا لا محل له من الاعراب ، فقد كان سليمان شخصية عظيمة لا سيما على الصعيد الروحي فهل لهذه العلة اغتاله اليهود ؟ هذا ما يجعلنا نفهمه من الكتاب المقدس .. فانه ببنائه الهيكل ، وبفتحه أبواب المدينة للروحانيات الاجنبية قد أوجد لهم دواء

لنرجسيتهم (عبادة الذات) •• ولكنهم فضلوا اسطوره الشعب المختار •

واذا كان هذا الملك السامي الكردي قد استطاع ممارسة الدين الذي تكتنفه الخفايا والاسرار - وهو من أعلم أهل زمانه - فانه كان مدينا بهذا العلم لكاهنة مصرية من كهنة الالهة هاتور،هذه الكاهنة التي تزوجها بدافع الطموح السياسى • وفي سلال العرس حملت لههذه الاميرة «بابوية» على الجمعيات الغائصة في المعميات • وقد أضيفت هذه القوة السياسية الى القوة السحرية •

وتوج كل هذا بمعاهدة مصرية - آشورية • ففلسطين التي كانت حتى ذلك العهد محمية مصرية ، أصبحت في الواقع آشورية • وقد وافق فرعون على تعيين نائب للملك الآشوري على شريطة أن يرتبط بمصر عن طريق امرأة مصرية ، ونصيبه كنصيب أسلافه • ولكن ، ماهي اذن حقيقية أسرار هاتور ، هذه الاسرار العجيبة المخيفة ؟

لنحاول ان نصورها بلغة عصرية !

اذا أبعدنا الى ما وراء الاديان النمطية ، واذا عدنا الى الاديان الوثنية لاسلافنا - وهي كلها تنظر الى العالم نظرتها المؤمنة بطاقاته فقط - أقول اذا فعلنا ذلك تبدت لنا بديهيتان : البديهية الاولى هي ان الدين اذا شاء أن يكون فعليه أن يتضمن حقيقتين - حقيقة كوكبية وحقيقة كونية .. عذراء سوداء وعذراء زرقاء ! العذراء الاولى ترمز الى القوة الحية التي تنبع من النواة الكوكبية ، وهي تفتح الطريق أمام ديانة الكهوف دهور ما قبل التاريخ وهي تأليه الاعتقادات غامضة ، وهي قوة جمعها بشر ما قبل التاريخ في آثارهم البدائية .

وبوسع الانسان أن يحرز هذه القوة عن طريق تعاليم تتكتم في شأنها المدارس السرية . وان سوءاستعمال هذه التعاليم يحيل الالوان الضاحكة الى ألوان قاتمة في المدى الطويل . ومن هناك جاء اللون الاسود المنسوب الى عذراء كهوف ماقبل التاريخ ، وهي التي أصبحت عذراءنا السوداء .

أما العذراء الزرقاء فترمز الى القوة ، النابعة من نقطة كونية ، ومعنى ذلك « مركز اله العالم » •

واللون الازرق هو اللون السماوي • وقد أوحت الالهة الكونية بهذا الوحي على القمم ، ذلك في عهد ما قبل التاريخ • والقمم هي الحد بين الارض والكون• ومن هنا جاء اسمها الاخر « الغادة البيضاء » او « غادة الثلوج » •

وان اسم العظيمة Isis وفي اللغة المصرية Isis' Silh وقد ترجم ترجمة حسنة المغاية من قبل Maurice Guignard موريس كينيار : Is وهو الثلج و Silh وهو الدبس (في الالمانية Sitte يعني كذلك العادة) • وهذه القوة الاخرى يقول المجوس انها لا يمكن ان تنضم الى الانسان الا اذا سيطر بادىء الامر على اعتقاداته الخفية • وهذا يفسر لنا الرمز الازرق لهاتور ، ذات الوجه الاسود •• وهذه النظريات تنأى بنا بالبديهة عن الدين الفطري الذي هو

كذلك ديننا بصورة موقتة • ولكنها تقربنا من الديـــن الكوني الخفي وهو دين الغد ؟ وان ظهـور العـــذراء الزرقاء على سنديانة فاطمة هو مقدمة لوحي جديد : طاقة روحية نابعة من الكون سوف تصدع حضارتنا السادية ، عما قريب ، وظهور المسيح في السحب •• سفر الرؤياه

وعن طريق المرأة نقلت مصر بحيازتها على التقاليد الانسانية القديمة امتيازاتها الروحية ، فعهدت بهـا الى أجانب من النخبة الممتازة • وقضية سليمان نطرحهـا كمثال •• ولأجل أن نحسن فهم ماهية هاته المنقولات ، علينا ان نناظر بين الملك سليمان ، المعبرن بصورة تعسفية وبين شخصية أخرى هي شخصية الحبر الاعظم (لويا) المعبرن هو ايضا بصورة كاذبة ، فسموه يوسف الـذى باعه اخوته •

وعلى هذا ففي العهد الذي شيد فيه الفرعـــون توتموسيس الثالث امبراطورية وكسا بظله الشرق الادنى، جيء بابن أمير سوري يدعى (يويا) الى طيبة ، بوصفه رهينة سياسية ، ونظام الرهائن هذا لم يكن فيه آنئــذ

ما يسمى بالقسوة • اذ كانوا بذلك يضمنون ولاء ملوك الطوائف السوريين الفلسطينيين بتغطية أقربائهم الادنين بالامتيازات • واخذ يويا كما كانت العادة جارية الى هيكل آمون ، وفي رواية أخرى الى جامعة مصر الكبرى • هذا الرجل من هذه اللحظة يترقى في سلم المناصب • وسيجمع بين المناصب الكهنوتية وبين أسرار العبادات الخاصة بهذا الشأن • وسيصبح موضع ثقة واعزاز عدة من فراعنة متعاقبين •

وتتويجا لكل هذه الامجاد سيزوج ابنته من أمير وارث : وهذه الشخصية هي دون أدنى ريب شخصية يوسف الحقيقية التي ورد ذكرها في التوراة • ولها مومياء جميلة موجودة حتى يومنا هذا • كيف ! كيف يرقى بدوي الى أعلى المناصب ؟ ولماذا ؟ ألأنه عبر رؤيا ساذجة ، وهي عهدئذ بمتناول علم أبسط المفسرين المعاصرين •

واذا علمنا ان كل الالمعية المصرية بدأت بفن تعبير الرؤى (وهي وسائل الروح القديمة) ، واذا عرفنا ان

مصر كانت تملك مدارس لتفسير الاحلام ، واذا علمنا كذلك أن المفسرين كانوا منبثين حتى في الاسواق ، اذ عرفنا كل هذا حق لنا أن نعجب .. وعلى هذا فان القصة قد تناولتها يد التحريف .

ونتحسس كل التحسس أن الاحبار قد اقتبسوا من تواريخ الاقطار التي جاسوا خلالها بعض الحكايا ،فعبرنوا كل المعلومات . ولكن لماذا هذه المصوصية من قبل الصهاينة ؟ الغرض منها تلفيق أكذب تاريخ للعالم يثير أعظم ضجة فيه . وكل ذلك لاختراع « ملفقة »الشعب اليهودي المختار .

ويويا ، وهو سليمان الاول ، وارث الحكمة والعلوم السحرية المصرية ، ورغم كونه أجنبيا ، فهو يفتح لنا آفاقا أخرى مفقودة ، فالى أ يعنصر بالضبط ينتسب ؟ اليهود لم يكونوا قد ظهروا بعد في زمانه ، بالاضافة الى أنهم لم يكونوا عنصرا له اصوله ، وانما كانوا طائفة .

يوسف سوري .. ولكن سوريا وهي عبارة عن متحف حقيقي للأعراق القديمة قد احتفظت بها على هيئة

أقليات ونماذج ، سوريا هذه كانت تضـــم كثيرا من الشعوب التي انغمست الى الاذقان في ممارسات التصوف والسحر . وكان هناك شعب من الشعوب أفرده الكتاب المقدس بالذكر ، وهو شعب العماليق ، واسم هذا الشعب اسم بليغ . ففي اللغات القديمة ، المتداخل بعضهابعض تعني Ama السماء (تقارن بالكلمة الالمانية Himmel التي تعني سماء وجنة في آن واحد ، وبكلمة Himmalaya التي تعني « الجبل السماوي » .

و Il Il او L تعني « الله »وبالضبط تعني « هـــو » "Lui" وذلك لان لفظ الجلالة محـرم النطق به . والعماليق شعب بدوي ، وكانوا « شـعب مختارا » قبل اليهود الذين استأصلوهم في عهـد شاؤول حسب رواية الكتاب المقدس . والمنافس مزعج على الدوام عندما يخطط الاخر لخطة طويلة الامد .. فطرد العماليق من مساكنهم البدائية على حراب الامبراطوريات العظمى، فعبروا أقطارا عديدة ، وتمثلوا في ترحلاتهم هذه تقنيـة

اليوغا Le Yoga ، صوفية الهند ، وسحر الشعوب المتعددة • على ضوء هذا الشعاع تتبين أن الاحبار المصريين قد أخذوا بنظر الاعتبار شخصية مثل شخصية (يويا) السوري العماليقي • وان تسنمه العرش الكهنوتي ليتضح الان لاعيننا بجلاء واشراق • ولكننا نعتقد أن العماليق لم يستأصلهم اليهود تماما ، فهم مايزالون في قيد الوجود ، وهم قابعون في جبال لبنان••الا انهم هم الدروز• وهم على عكس اليهود يمارسون ممارسات روحية ،ولكنهم يحتفظون بها مكتومة ، وهم حائزون على محبة الشعوب المجاورة،لا على بغضائها مثل اليهود ، اذ يحبهم المسيحيون والمسلمون معا •

وعلى العموم فان الدروز يدينون باديان ما وراء السويس • وهم شعب مختار ، بمعنى من المعاني •• ولم يفلح شاؤول باستئصال المنافسين أصحاب اليقين ••فانهم دائما هناك ، وهم في حاضرهم على أشد ما يكونون شعورا بدورهم الوسيط بين الشرق والغرب •

أورشليم مدينة السلام

للاب پول گوتييه

اسرائيل بوصفها أمة ودولة ، هل هي « الشعب المختار » و « الارض المقدسة » و « الدولة الآية » ؟ هذا ما يعتقده حتى الان بعض المسيحيين بحماس أكثر من حماس بعض اليهود . وفي الآونة التي كان الخطر فيها محدقا بدولة اسرائيل ، وحتى الان واسرائيل منتصرة ، شهدنا وما زلنا نشهد ظاهرة غريبة من ظواهر التشوش الذهني . فهناك من يزعمون أن أمن الانسانية معلق على وجود دولة اسرائيل . والعدل ما تراه اسرائيل عدلا . ويرون من باب ارتكاب الخطيئة فضح ذنوب اسرائيل

وجرائم اسرائيل التي يرتكبها اسرائيليون ، ذلك لان هذا مناقض لسلام اسرائيل . ويرى هؤلاء أخيرا ان انتصار اسرائيل واستحواذها على مدينة القدس هو تحقيق للنبوءات . وان هذا الحادث له أهمية ترتبط بذات المسيح . وان هبوط المسيح وشيك الوقوع .. ويعتقد مسيحيون آخرون بعد استيلاء اليهود على القدس أن « عهد الوثنيين قد مضى وانقضى » .. وان السيد المسيح سيعود ، وسيحكم على كل فرد من أبناء البشرية ، وعلى كل أمة من الامم بالاستناد الى موقفها من الشعب المختار . وهذا تفسير عجيب للآية ٣٥ من الفصل الخامس والعشرين من انجيل متي « ان ما عملتموه من معروف مع أصغر أتباعي انما عملتموه معي » ويفسرون أن هذا الأصغر من بين أتباعه هو اسرائيل ، بل دولة اسرائيل بذاتها .

وهناك الكثيرون من اليهود الذين استطاعوا الاحتجاج ضد هذا الأدب وتجاه هذا الحماس المزيف ، والذي هو في المدى الطويل خطر على اسرائيل نفسها .

ويقول بعضهم على سبيل التذكير ، وهم على صواب ، ان اسرائيل بوصفها امة ودولة هي شيء ، وان الشعب اليهودي هو شيء آخر . بل أن بعضهم يذهب الى القول بعدم وجود شعب يهودي ، ولكنهم يقرون بوجود دين يهودي وامة اسرائيلية . والعديد من الاسرائيليين يريدون أن ينفضوا أيديهم من « اليهودية الاممية » ويعتبرون أنفسهم مجرد مواطنين لدولة اعتيادية ، محض كنعانيين . وهناك جمهرة كبيرة من الاسرائيليين تنفر ، باسم السلام نفسه وباسم أمن بلادها نفسها ، من هذه الشعوذة السياسية والعنصرية وتنادي قائلة : « نحن أمة كسائر الامم ، ونحن نريد أن نعيش كما يعيش أبناء العالم » .

وقبل حرب حزيران ١٩٦٧ ، وجد اناس في اورشليم من اليهود الغلاة المتعصبين يصرحون بأن دولة اسرائيل دولة شريرة ، ذلك لانها دولة ليست من صنع الله ، ولكن من معمل السياسة ، وهي على درجة فاحشة من الشر والشيطانية بحيث يحل للعالم أن يسلمها فريسة للعرب .

وهذا الرأي كان نصيبه الذوبان كما يذوب الثلج تحت أشعة الشمس المتوهجة ، وذلك بعد فتح القدس ، هذا اذا أخذنا بنظر الاعتبار عدد من يسمونهم (الداتي)

(وهم يهود متـدينون تقليديون) وهم الذين اكتسحوا المدينة المقدسة ، المدينة القديمة ، وراء الجيش في مواكب أبهة وغطرسة .

والملحدون من اليهود أنفسهم ، وهم كثرة كاثرة في اسرائيل تدعي هذه الدعوة . نقول ان الملحدين من اليهود يتحدثون بأحاديث تبعث على الاستغراب ، اذ يقول قائلهم : « انني لا أؤمن بالله ، ولكن بعد هذا النصر ظهر بجلاء ان الله معنا » .

ماذا يكمن في ضمير كل هذا الدجل ؟ تكمن حقيقة ، يكمن خطأ ، يكمن خطر . فالحقيقة في أعين المؤمنين هي أن الله قد اصطفى ابراهيم لينير بصيرته وليصنع من هذا الحبر أبا لجميع اولئك الذين يؤمنون بالله الواحـد الأحـد . وقد أنجى الله اسماعيل الذي كاد يهلك في

الصحراء ، ذلك « لان الله يسمع صراخ الطفل الصغير أنى كان » « سفر التكوين ١١ ، ١٧) • وقد حرر الله ذراري ابراهيم الآخرين ، وأبناء اسحق ويعقوب وهم عبيد في مصر ، وتجلى مرة اخرى لموسى وهو يقول له : « لقد رأيت شقاء شعبي ، لقد سمعت الصرخات التي انتزعها منهم معذبوهم • وقد عزمت على تخليصهم » (سفر الخروج ٣ ، ٧) • وقد تكلم الباري على لسان الانبياء عن هذه القطعة من الارض • انطلاقا من هذا الشعب • وتجلى للانسانية ، ومن هذا الشعب • كما يقال ، ولد عيسى بن مريم •

كل هذا صحيح ، على الاقل في نظر جميع المؤمنين برب ابراهيم • وفي رأي هؤلاء جميعا أن الارض مقدسة حيث تقع هذه الاحداث • وكان أحفاد ابراهيم لهم الحق في محبة خاصة كما يقول الكتاب المقدس •

ولكن هل هذ التاريخ وهذا الاعتقاد يمنحان امتيازات ومنافع مادية وأرضية لاولئك الذين يعتقدون

أنهم كانوا موضع الاصطفاء الالهي وهم شهود على الوحي ؟ اذا قلنا أجل فاننا نتقبل طريقة فرض عقيدتهم أو في الأقل فرض نتائج عقيدتهم على الآخرين • في حين أن المؤمنين عليهم واجبات تجاه الآخرين ، وليست لهم حقوق على الآخرين • والحقيقة تصبح خطأ حينما تخرج من نطاقها وتندس اندساسا في نطاق آخر • وأي نمط من أنماط حقوق التملك يستطيع ابراهيم وأنساله أن يغنموها من جراء عقيدتهم في هبة الهية ؟ ان البدوي لم تكن لديه أية فكرة عن القانون الروماني • وكان بحسبه أن يطوف في بقعة من بقاع الأرض ، حتى لو كان هناك آخرون يسكنونها مقيمين • وهل أراد الله حقيقة طرد السكان ، أو تحليل ذبحهم وتخريب مدنهم وهو ما ورد ذكره في سفر القضاة ؟ هل أراد الباري حقيقة تضحية اسحق ؟ بالنسبة للمؤمنين ان الكتاب المقدس موحىً به على وجه التأكيد ، ولكن الوحي الالهي يستعمل الادوات البشرية للوصول الى التعبير عن نفسه • ولا نستطيع بصورة حرفية

أن نتقبل كل كلمة من كلمات الكتاب المقدس بكونها ارادة سماوية . والا فاننا سنضحي بالانبياء وسنذبح المغلوبين على أمرهم ، وسنعتدي على طهر النساء ... وذلك لكي تتم على أحسن وجه النبوءات التي تبشر بقدوم المسيح ، والتي يسبقها الاستيلاء على اورشليم (سفر زكريا ١٤) . وهي الحياة الجديدة للمسيح .

ليس هناك أفحش من هذا الخطل ، وليس هناك على هذا أسوأ من هذا الخطر ، ليس هناك ألعن من الخلط بين الزمني والروحي ، وهو ما تجسمه العنصرية الدينية بأهول الأشكال وأفزعها .

والمسيحيون غير أنقياء من هذا الضلال ومن هذه الخطيئة . وأمام المسيحية درب طويل عليها أن تجتازه لأجل أن تفهم أفضل من هذا الفهم ولغرض أن تعيش خيرا من عيشها الراهن ، وختاما لتبدو لها حقيقة روح الانجيل .

لقد رسم يوحنا الثالث والعشرون ـ البابا ـ الرسول ،

رسالة عنونها باسم «على الارض السلام» طريق السلام ، فقال : « في أيامنا هذه يضع صالح الانسانية العام مشاكل ذات أبعاد عالمية • ولا يمكن لهذه المشاكل أن تحل الا عن طريق سلطة عامة يكون سلطانها ويكون دستورها وتكون وسائلها للعمل هي أيضا ذات أبعاد عالميـــة والتي يكون بمقدورها أن تمارس عملها على الكرة الأرضية بأسرها • اذن فالهيمنة الاخلاقيـــة نفسها هي التي تتطلب تكوين سلطة لها صلاحية عالمية (١٣٧) » •

وفي غداة النصر ، لماذا لم تلجأ اسرائيل الى تشكيل هذه الحكومة العالمية بعرضها أورشليم كعاصمة رمزية في الأقل لانسانية متصالحة مع نفسها ؟ وحتى اذا بدت هذه الفكرة طوباوية ، فان هذا المشروع بعنصريه الاثنـــين ، يبدو هو السبيل الوحيد الواقعي لاقامة السلام •

وهيئة الامم المتحدة هي اليوم محل التناطح بـــين الامم المختلفة ، حيث تزعم حجة الأقوى أنهـــا الحجة الأحق • وفي هذه الهيئة ما تزال الصين القارية بثقلهـــا

الانساني الهائل محرومة من الانتساب اليها ، وما تزال عدة امم اخرى تكافح في سبيل العدالة داخل هذه الهيئة.

وهذا ما يجعل خطر نشوب حرب عالمية أمرا محتمل الوقوع .

وستكون اورشليم هي أيضا ، بعد أن وقعت بين أيدي امة واحدة ، سببا من أسباب الحرب . وعلى العكس من ذلك ، لو عرضت اورشليم كعاصمة للانسانية ،مفتوحة للشعوب كافة دون تمييز ، لكانت مدينة السلام بحق .

وهناك خريطة يهودية قديمة تظهر اسرائيل في قلب العالم . وهذا صحيح روحيا لا جغرافيا . وسيكون من الاستفزاز الوقح تخطي الوضع الكائنة فيه الامم . وان الامم ، بتنازلها عن سيادتها المزعومة ، التي لم تعد في الواقع الا وهماً والا خطرا دائما من أخطار الحرب ، نقول لو قبلت الامم بهذا التنازل لوصلت الى تكوين الحكومة العالمية . وفي ذلك الوقت فقط تستطيع الحصول على محو الحروب وعدم التسابق المدمر لنيل السلاح ،

وتستطيع الفوز بالحل لمأساة اللاجئين بتنـــامي الاقتصاد العادل لكل الشعوب عدلا شاملا ، ولاستطاعت الشعوب تصفية العار الذي يلد الشرور العنصرية بأنواعها .

ألم يحن الحين لان ينطلق السلام بصورة واقعيـة وحقيقية من أورشليم ، فترقص له الاسرة البشرية بقضها وقضيضها ؟



المؤسسة العامة للصحافة والطباعة
دار الجمهورية ـ بغداد
١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م

صدر في هذه السلسلة :

١ - الهجرة الصهيونية الى فلسطين
طبعة اولى وثانية - تاليف عبدالحميد العلوجي .
٢ - مهمة يارنغ - تاليف خالص عزمي
٣ - حوليات فلسطينية : تاليف ناظم سيالة

تنفيـــذ

مديرية التأليف والترجمة والنشر

